فكابد الليل بما تشتهي ... فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناكسا ... يستقبل الليل بامر عجيب
غطى عليه الليل استاره ... فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر اليه ما يكتب فلما فرغ قال الملك يا ابتي فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى ان انصرف من عمله ومن مناقبه انه لما ولي خراسان دخل الى بلخ وهي وطنهم وبها النوبهار وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها وكان جدهم برمك خادم ذلك البيت حسبما هو مشروح في ترجمة جعفر فاراد الفضل هدم ذلك البيت فلم يقدر عليه لاحكام بنائه فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجدا وذكر في اخبار الوزراء ان الرشيد ولى جعفر بن يحيى المغرب كله من الشروان الى افريقية ولى الفضل الترك فاقام جعفر بحضرته واستخلف على عمله وشخص الفضل الى عمله في سنة ثمان وسبعين فلما وصل الى خراسان ازال سيرة الجور وبنى المساجد والحياض والربط واحرق دفاتر البغايا وزاد الجند ووصل الزوار والقواد والكتاب في سنة سبع بعشرة الاف درهم واستخلف على عمله وشخص الى حضرة السنة الى العراق فتلقاه الرشيد وجمع له الناس واكرمه غاية الاكرام وامر الرشيد الشعراء بمدحه والخطباء بذكر فضله فكثر المادحون له ومدحه اسحق بن ابراهيم الموصلي بابيات منها قوله

لو كان بيني وبين الفضل معرفة ... فضل بن يحيى لاعداني على الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره ... والمشترى الحمد بالغالي من الثمن

وكان ابو الهول الحميري قد هجا الفضل فرآه راغبا اليه فقال له ويلك باي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي القى الله عز وجل به وذنوبي اليه اكثر من ذنوبي اليك فضحك منه ووصله ومن كلامه ما سرور الموعود بالفائدة كسروري بالانجاز قيل له ما احسن كرمك لولا تيه فيك فقال تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة فقيل وكيف ذلك فقال كان ابي عاملا على بعض كور بلاد فارس فانكسرت عليه جملة مستكثرة فحمل الى بغداد وطولب بالمال فدفع جميع ما يملكه وبقيت عليه ثلاثة الاف الف درهم لا يعرف لها وجها واطلبوا عليه حتى بقي حائرا في امره وكان بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة الا انه علم انه ما يقدر على مساعدته الا هو فقال لي يوما وانا صبي امض الى عمارة وسلم عليه عني وعرفه الضرورة التي صرنا اليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض الى ان يسهل الله سبحانه وتعالى بالفرج فقلت له انت تعلم ما بينكما وكيف مضي اليه وكيف بعد الرسالة وانا اعلم انه لو قدر على تلافي لا تلفك فقال لا بد ان تمضي اليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة قال الفضل فلم يمكني معاودته وخرجت مقدم رجلا ومؤخرا اخرى حتى اتيت داره فاستاذنت في الدخول عليه فاذن لي فلما دخلت وجدته في صدر ايوانه متكئا على مفارش وثيره وقد غلف شعر راسه ولحيته بالمسك ووجهه الى الحائط وكان من شدة تيهه يقعد الا كذا لا قال الفضل فوقفت اسفل الايوان وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه عن ابي وقصصت عليه القصة فسكت ساعة ثم قال حتى ننظر فخرجت من عنده نادما على نقل خطاي اليه موقنا بالحرمان عاتبا على ابي كونه كلفني اذلال نفسي بلا فائدة وعزمت على ان لا اعود اليه غضبا منه فقعدت ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي فلما وصلت الى الباب وجدت البغال المحملة فقلت ما هذه فقيل ان عمارة قد سيرها الي فدخلت على ابي ولم اخبره بشيء مما جرى معه كي لا اكدر عليه احسانه فمكثنا قليلا وعاد ابي الى الولاية وحصلت له اموال كثيرة فدفع لي ذلك المبلغ وقال احمله اليه فجئت به ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الاولى فسلمت عليه فلم يرد وسلمت عليه عن ابي وشكرت احسانه وعرفته بوصول المال فقال تجره وعلك

استطالا كنت لابيك اخرج عني لا بارك الله فيك هو لك فخرجت ورددت المال الى ابي وعجبنا من حاله وقال لي ابي والله ما تسمح نفسي لك بذلك ولكن خذ الف الف درهم واترك لابيك الفي الف درهم وحكى الجهشيار في اخبار الوزراء هذه الحكاية لكن بين الحكايتين اختلاف قليل وذكر ان جملة المال الفا الف درهم وكان ذلك في ايام المهدي لما يطالبه بالمال ان ادى قبل المغرب من يومنا هذا والا اتي براسه وكان المهدي معضبا عليه ونقلت منه الكرم والتيه والاستطالة لصيرفي وعمارة المذكور من اولاد عكرمة مولى بني العباس وقد تقدم ذكره وكان كاتب ابي جعفر المنصور ومولاه وكان تائها معجبا كريما بليغا فصيحا اعور وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ويحتملان اخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه وولي لهما الاعمال الكبار وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس التي تقرا لبني العباس ويحكي ان الفضل دخل عليه حاجبه يوما فقال له ان بالباب رجلا يزعم ان له سببا يمت به اليك فقال ادخله فادخله فاذا هو شاب حسن الوجه رث الهيئة فسلم فاومى اليه بالجلوس فجلس فقال له بعد ساعة ما حاجتك قال اعلمتك بها رثاثة ملبسي قال نعم فما الذي تمت به قال ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك قال الفضل اما الجوار فيمكن وقد يوافق الاسم ولكن من اعلمك بالولادة قال اخبرتني امي انها لما ولدتني قيل لها ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل فسمتني امي فضلا كبارا للاسم ان يلحقني به وصغرته لقصور قدري عن قدرك فتبسم الفضل فقال كم اتى عليك من السنين قال خمس وثلثون سنة قال صدقت هذا المقدار الذي اعد قال فما فعلت امك قال ماتت قال فما منعك من اللحاق بنا متقدما قال لم ارض نفسي للقائك لانها كانت في عامية معها حداثة تقعد بي عن لقاء الملوك وعلق هذا منذ اعوام فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي قال فما يصلح له قال الكبير من الامر والصغير قال يا غلام اعطه لكل عام مضى من سنيه الف درهم واعطه عشرة الاف درهم يحمل بها نفسه الى وقت استعماله واعطاه مركوبا سريا ثم ان الرشيد لما قتل جعفرا على ما تقدم في ترجمته قبض على ابيه يحيى واخيه الفضل المذكور وكان عنده ثم توجه الرشيد الى الرقة وهم معه وجميع البرامكة في التوكيل عبر يحيى فلما وصلوا اليها وجه الرشيد الى ~~الرقة وهم~~ معه يحيى ثم بالرقة او حيث شئت فوجه اليه اني احب ان اكون مع ولدي فوجه اليه ا ترضى بالحبس فقد كوانه يرضى به فحبس معهم ووسع عليهم ثم كانوا حينا يوسع عليهم وحينا يضيق عليهم حسبما ينقل اليه عنهم واستصفي اموال البرامكة ويقال ان الرشيد سير مسرور الخادم الى السجن فجاءه فقال للمتوكل بهما اخرج لي الفضل فاخرجه فقال له ان امير المؤمنين يقول لك اني قد امرتك ان تصدقني عن اموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي انك بعثت لك مالا كثيرا وقد امرني ان لم تطلعني على المال ان اضربك مائتي سوط واري لك ان لا تؤثر مالك على نفسك فرفع الفضل راسه اليه وقال والله ما كذبت فيما اخبرت به ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا وان اضرب سوطا واحدا لاخترت الخروج وامير المؤمنين يعلم ذلك وانت تعلم انا كنا نصون اعراضنا باموالنا فاخرج مسرور سوطا كانت معه في منديل فضربه مائتي سوط وتولى ضربها الخدام فضربوه اشد الضرب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)